إرهاب مَنْ ـ هذا الإرهاب؟!! (*)

لا أحد يحب الإرهاب أو ينشده لذاته أو يرضاه، ينطبق ذلك على ممارسى العنف مثلما ينطبق على المراقبين والمشفقين وعلى الناس بعامة!! ممارس العنف ـ ما لم يكن جانحا جنوحا مرضيا! ـ لا يطلب العنف لذاته، وإنما هو رد فعل لظلم ساحق أو انسحاق ظالم، بل إن "رد الفعل" بغيض إلى ذات اللاجئ إليه، فلا هو أحب العنف وطلبه طواعية باختيار مريد ونشده وارتضاه، بل هو مكره عليه مقود برد فعل الظلم والانسحاق إليه، ولا هو بداهة أحب أو نشد أو ارتضى الظلم والطغيان والجبروت الممارس عليه!! هى إذن ردود أفعال أقرب إلى التلقائية!! وهى ليست أفراحا لأصحابها ـ كما قد يظن السطحيون، وإنما هى مكابدات مأساوية تجرعها التعساء حتى الثمالة وحتى صارت لهيبا مشتعلا فى حناياهم ينتهى بهم إلى إفناء أنفسهم ليسمعوا الدنيا وجيعتهم وصراخهم وأنينهم وأنين شعوبهم وأوطانهم!!!

إرهاب من ؟!

فى الوقت الذى يحاول العرب والمسلمون أن ينتزعوا أنفسهم من عام الأحزان، ليستقبلوا عيداً آملين أن يمسح ولو لأيام بعض شجونهم، وفى الوقت الذى تختلط فيه أيام العيد برحيل وتوديع عرفات ومن قبله الشيخ زايد، وتعكف العقول والأقلام على النظر

---

* ٢٠٠٤/١٢/٢

وإعادة النظر لبحث ومراجعة وفحص أسباب الاتهامات الأمريكية العلوية المتوالية بنسبة "الإرهاب" إلى العرب والمسلمين، وتجاوز التهجم على الناس إلى الدين ذاته، وتسعى لتعقيم الدين مثلما سعت وتسعى لتعقيم الشعوب والناس، وفى الوقت الذى يتجرع الكثيرون هذا الهوان ولا يكفون مع تجرعه عن محاولة مراجعة الذات لمعرفة أسباب طفح الإرهاب، وفصله عن الخلط المقصود المروم به إسباغ وصف الإرهاب على كل دفاع مشروع للشعوب عن أوطانها وأراضيها.. هذا الخلط المقصود الذى أدى ويؤدى إلى عوار النظر الآتى من هناك، والعزوف الضرير عن سبر الأغوار والجذور الحقيقية لأعمال العنف: إرهابا آثما كانت أو مقاومة مشروعة، وبالتالى ضياع الطريق الصحيح لتجفيف منابع العنف بتعقيم مسبباته!!

فى الوقت الذى تموج فيه العقول والقلوب والمشاعر بهذا كله، لا يصرفها عنه عيد ولسان حالها يقول أثيرة الشاعر لقديم: "عيد بأية حال عدت يا عيد.. بما مضى أم لأمر فيه تجديد!! ".. تحمل إلينا الصحف والفضائيات كوارث متلاحقة تدمى هنا ولا تمس شغاف قلب أحد هناك: فى ١١/١١ ـ ٢٨ رمضان: معارك شرسة فى الفلوجة، والمقاومة تتحدى الاحتلال!.. اشتباكات ضارية فى وسط الفلوجة، وشمالها!.. إدانة تركية لمهاجمة الفلوجة فى ليلة القدر!.. تحذيرات دولية من كارثة انسانية وشيكة فى الفلوجة!.. الآلاف بالفلوجة يعانون نقص الطعام والماء والدواء!.. الجثث تغطى شوارع الفلوجة والبنتاجون يتوقع معارك صعبة!!..، وفى ١١/١٣ ـ ٣٠ رمضان: القوات الأمريكية تدخل إلى معظم الفلوجة.. معارك شرسة بين القوات الأمريكية المسلحة وبين المقاومة بالقرب من المسجد فى حى الجولان بالفلوجة!!.. القوات الأمريكية تعلن السيطرة على معظم الفلوجة وتقوم بعملية عسكرية فى الرمادى وتستعد لمهاجمة الموصل..، وفى ١١/١٥ ـ ٢ شوال: الأمريكيون يعتذرون للعالم من إعادة بوش إلى السلطة والحرب!! الفلوجة تواجه كارثة انسانية مروعة والقوات

الأمريكية ترفض دخول المساعدات الانسانية!! التيفود يتفشى بالمدينة والجثث المتحللة ملقاه بالشوارع والسكان محاصرون يموتون جوعا وعطشا!! مظاهرات احتجاج تتهم علاوى بالخيانة والبلطجة!.. اشتباكات دامية فى بيجى!! قوات المارينز الأمريكية لا تستثنى الأجانب ولا ترحم النساء والأطفال!! الخسائر حتى اليوم ١٢٠٠ شهيد ضحايا مجازر الفلوجة مقابل مصرع ٤ (!؟) جنود أمريكيين وإصابة١٦(!؟)..، وفى ١١/١٦ ـ ٣ شوال: تجديد المعارك فى الفلوجة وقتال فى الموصل والرمادى وبعقوبة وبهزر.. تساقط القتلى العراقيين!!.. القوات الأمريكية دخلت مبنى مستشفى السلام فى الموصل، وتهاجم بعقوبة بهجمات برية وجوية عنيفة!!..، وفى ١١/١٧ ـ ٤ شوال: جرائم حرب لقوات الإحتلال الأمريكية فى الفلوجة!! اقتحام المساجد وقتل المسلمين وإعدام الجرحى العزّل!!.. محطات التليفزيون الأمريكية تفضح الجرائم ومنظمة العفو تطالب بمحاكمة مرتكبيها!! مواجهات عنيفة فى عدة مدن وحشود أمريكية لاقتحام غرب الموصل!! ـ ١٢٠٠ عسكرى أمريكى يستعدون للسيطرة على غرب الموصل!! معارك عنيفة فى المعاقل السنية!!.. الجيش الأمريكى يحتجز ١٠٥٢ فى الفلوجة ويعتقل نائب رئيس المجلس الوطنى العراقى رغم الحصانة!!.. العفو الدولية تكشف عن انتهاكات خطيرة لقوات الاحتلال الأمريكية فى العراق!!.. العار: جنود الاحتلال الأمريكى يعدمون الجرحى العراقيين داخل مسجد فى الفلوجة!!.. شبكة تليفزيون أمريكية ـ نعم أمريكية! ـ تذيع شريطا للمارينز أثناء اطلاق الرصاص على رءوس المصابين بالمساجد بدلاً من نقلهم للعلاج!!.. المراسل الحربى يصف المشهد المفزع والبنتاجون ينفى علمه والعفو الدولية تطلب التحقيق!! شبكة" س. إس. نيوز "التليفزيونية الأمريكية تذيع صورا لجندى أمريكى من المارينز يصوب سلاحه نحو رأس أحد الجرحى ويطلق عليه النار وفى خلفية الصورة جنود المارينز يرددون:" الآن تأكدنا أنه مات!!.. قصف حى الشهداء بالأسلحة الكيماوية والقاء الجثث فى

نهر الفرات لإخفاء الجريمة!! راديو لندن يؤكد أن الجريمة التى ارتكبها جنود المارينز فى الفلوجة تمثل فضيحة مخزية!!.. بث شريط الفيديو عن الحادث يفجر ضجة فى واشنطن تعيد للأذهان فضيحة سجن "أبو غريب "!! ـ هل تذكرون؟!. هجوم أمريكى واسع النطاق على الموصل بعد اكتمال السيطرة على الفلوجة!. منظمات حقوق الإنسان تتهم أمريكا بارتكاب جرائم حرب فى العراق؟!!.. وفى ١١/١٨ ـ ٥ شوال: حرب الشوارع فى الرمادى بعد الفلوجة!.. المقاتلات الأمريكية تنسف المنازل بالقنابل والصواريخ!! بلغ عدد الشهداء الآن ١٦٠٠ شهيد ضحايا مذبحة الفلوجة!! اعتقال ١٠٠٠ عراقى خلال ١٠ أيام من العمليات الأمريكية الوحشية!!. تساقط القتلى العراقيين فى مواجهات دامية بالرمادى والموصل!! ـ مصور" إن. بى. سى" يؤكد أن الجنود الأمريكين قتلوا ثلاثة جرحى آخرين داخل مسجد الفلوجة!! المنظمات الإنسانية الدولية تصف العملية بجريمة حرب وتدعو للتحقيق فى جميع الممارسات الأمريكية بالمدينة!! إسرائيل تقتل ٣ جنود شرطة مصريين فى رفح وشارون يقدم اعتذاراً ومصر تحتج دبلوماسيا!!، واتصالاً بالمآسى التى لا تنقطع. والجرائم التى ترتكبها إسرائيل كل يوم فى فلسطين فى إطار المسح والتدمير والتجريف والإبادة والتفريغ ـ تحمل الصحافة فى ١١/١٩ ـ ٦ شوال مانشيتات تميط اللثام عن المزيد من جرائم الحرب ومعادة الإنسانية: "جنود الاحتلال الإسرائيلى يقلدون الأمريكان فى العراق!!.. مثلوا بجثث الفلسطينيين والتقطوا صوراً تذكارية معها "!!!..تمضى هذه الوحشية محمية بقانون "السامية" الذى أصدره الرئيس بوش وصار أداة لتعقب كل من يقول "لا" لما تفعله وترتكبه إسرائيل!!!

إرهاب من إذن هذا الإرهاب؟!!

هذا الإرهاب!

إرهاب الدول الذى طفنا ببعضه فقط عبر أيام قليلات، بات إرهابا عاما يمارس ممارسة تكاد تكون يومية، من مدة طويلة!! وهو إرهاب أخطر بكثير وأعم أثراً وأكثر بالتالى وبالاً من إرهاب الأفراد مهما اشتط وجمح!!.. وأكبر المغالطات فى إرهاب الدول أنه يشن وبهذه العراضة بدعوى مقاومة الإرهاب!.. فهل الحروب التى تشنها الولايات المتحدة وأذيالها، والمقترنة بأبشع أنواع جرائم الحرب والعدوان ضد الإنسانية - هى حروب للقضاء على إرهاب!!، أم أنها لإثارته بإرهاب أشد وابشع وأجمح؟!.. وهل قصد هذه الحروب الضارية والأعمال الوحشية الى تجفيف إرهاب لن يجف بل سيزداد بهذا الأسلوب؟! أم أن القصد إلى تركيع دول وإهانة كرامة بل وآدمية شعوب؟!.. وهل هذه "القصود" تؤدى إلى ما تتشح الحروب الحمقاء بأنه غايتها النبيلة وهدفها السامى للقضاء على الإرهاب، أم تؤدى إلى نقيضه وتشعل ناراً عامة سيكتوى الجميع بنارها وبلهيبها فإن لم يكن فبلفحها؟!!

أسوأ ما فى إرهاب الدول، أنه يمضى فى جموحه بلا أى آلية متاحة لإصلاحه أو محاصرته أو تجفيفه!!.. قد تنجح المواعظ ودعوات الإصلاح فى محاصرة أو تعقيم الإرهاب الفردى، وينجح أكثر تجفيف مسبباته بتسريب العدل إلى ساحة غلبت فيها المظالم - إلاّ أن إرهاب الدول يبدو مستعصيا على أى وعظ أو إرشاد أو دعوة أو تنوير.. مرد ذلك أن إرهاب الدول لا ينبع من تصرف إنسان يمكن أن يخاطبه ضميره أو ترده سلطة أسرية أو أبوية أو سلطان العقل والمنطق أو سلطات دولته، أما إرهاب الدول فجموح أنظمة تديره عن قصد لا ينفع فيها وعظ ولا إرشاد، ولا يجدى فى مخاطبتها اعتبارات العدل

والإنسانية، فهى تعرف ذلك كله ولكنها لا تبالى به ولا تأبه له. فهى قد أقامت إرهابها على فلسفة مدروسة ارتأتها واعتقدتها، دون أن تدرك أن أى حسابات تغفل أحاسيس الناس ورد الفعل الإنسانى ومقدار الزخم الذى يفور فيه من جراء غيبة العدل وإرهاب الدول - إنما هى حسابات حولاء لأفعال تزرع مرارات تتحول برد الفعل إلى إرهاب يجد مبرره فى تراكمات الظلم وحصار الإبادة وضياع قيمة الحق والاعتدال أمام غطرسة وجبروت القوة والأقوياء!!

المخيف إذن هو إرهاب الدول، ليس فقط لأنها تملك القوة الكاسحة القادرة على التدمير والإبادة، وليس فقط لأنها تملك الفعل الذى يغطى الكرة الأرضية طولاً وعرضاً، وناتج إرهابها ناتج هائل مساحةً وعمقاً وأثراً، وإنما لأن هذا كله يصب "النار" فى الناس، ويولد الانفجار الإنسانى هنا وهناك، هذا الانفجار الذى لا يمكن أن يفهم فهماً حقيقياً دعوات التعقل والمسالمة والاحتكام إلى الحوار، بينما يرى الأقوياء يطأون الضعفاء بالأقدام، ويبقرون بطون الحبالى، ويعصفون بالأطفال والأبرياء، ويرملون النساء، ويتيمون الأبناء والبنات - وينتهكون الإنسانية انتهاكاً يستحيل معه أن تكون لهم فى نظر الناس أى مصداقية وهم يتشدقون بأن هذا الدمار المبثوث هو لحماية الإنسانية والقضاء على الإرهاب؟!!!!!